كولن ولسن

«الانسان وقواه الخفية»

يصدر هذا الشهر عن « دار الآداب » كتاب هام من احدث كتب كولن ولسن بعنوان « الانسان وقواه الخفية » وهو تحوير للعنوان الاصلي The Occult . وننشر فيما يلي مقدمة هذا الكتاب الذي نقله الى العربية الاستاذ سامي خشبة .

●

قضية هذا الكتاب قضية ثورية ، ولا بد لي ان اقررها بوضوح في البداية .

لقد آمن الانسان البدائي بان العالم كان مليئا بقوى غير منظورة: الاورندا The Orenda (قوة الروح) عند الهنود الامريكيين ، او الهواكا The Huaca عند اهل بيرو القدماء . وقال « عصر العقل » ان تلك القوى لم يكن لها وجود قط الا في خيال الانسان ، وانه ليس سوى العقل وحده ما يستطيع ان يطلع الانسان على حقيقة الكون . وكانت المشكلة هي ان الانسان قد اصبح قزما مفكرا ، وكان عالم العقليين مكانا يشيع فيه ضوء النهار ، حيث كان الضجر والتفاهة و« العادية » هي الحقائق النهائية والمطلقة .

ولكن المشكلة الرئيسية بالنسبة للكائنات الانسانية هي ميلهم الى ان يقعوا في شرك : « تفاهة الاشياء اليومية »، اذا ما استعرنا عبارة هايدجر في عالم مشاغلهم الشخصية الخانق ، وفي كل مرة من مرات وقوعهم في هذا الشرك ، فانهم ينسون العالم الشاسع الهائل ذا المغزى الاكثر اتساعا الذي يترامى من حولهم ، ولما كان الانسان بحاجة الى احساس بالمعنى لكي ينفس عن طاقاته المخبوءة ، فان هذا النسيان يجذبه ـ او يدفعه ـ الى اغوار عميقة عن الانقباض والضجر ، وهو الاحساس بان شيئا لا يستحق ان يبذل من اجله اي جهد .

وبمعنى ما ، فان الهنود الامريكيين واهل بيرو كانوا اقرب الى الحقيقة من الانسان الحديث ، ذلك لان حدسهم ك « القوى غير المنظورة » جعلهم متفتحين لتلقي مظاهر وتجليات المعنى التي تحيط بنا.

من الممكن ان ننظر الى « فاوست » لجوته باعتبارها اعظم دراما رمزية ابدعها الغرب ، طالما انها دراما الانسان العقلي الذي يختنق في غرفة وعيه الشخصي التي تعلوها الاتربة ، واقعا متخبطا في دائرة الضجر والعقم المفرغة التي تؤدي بدورها الى مزيد من الضجر والعقم . ان اشتياق فاوست الى معرفة « الغيب » هو الرغبة الغريزية في الايمان بالقوى غير المنظورة ، وبالمغزى الاكثر اتساعا ، الذي يستطيع ان يكسر تلك الدائرة فيضع نهايتها .

ان ما يثير الاهتمام هو ان الانسان الغربي قد طور العلم والفلسفة بسبب هذه الرغبة المتلهفة الحارقة الساعية الى المغزى الاكثر اتساعا . ولم يكن تفكيره العقلي هو ما خانه ، وانما كان عجزه عن التفكير بوضوح هو الخائن ، اي ان يفهم ان العقل الصحيح لا بد له ان يستخلص من العالم « زادا » من المعنى اذا كان له ان يستمر في الحصول على « نتيجة » من المجهود الحيوي . وكان الخطأ القاتل هو فشل العلماء والعقليين في المحافظة على تفتح عقولهم للاحساس بال « هواكا » ، اي بالقوى غير المنظورة . لقد حاولوا ان يقيسوا الحياة بمسطرة طولها ست بوصات ، وان يزنوها بصنجات المطبخ . ولم يكن هذا علما ، وانما كان فجاجة لا تزيد اكثر من درجة واحدة على فجاجة المتوحشين ، وقد سخر سويفت منها في قصته « رحلة الى لابوتا » .

يعيش الانسان بان « يأكل » المغزى مثلما يأكل الطفل الطعام . وكلما ازداد عمق احساسه بالدهشة ، كلما ازداد اتساع فضوله وتطلعه الى المعرفة والفهم ، وازدادت قوة حيويته ، وازدادت قوة قبضته على وجوده الخاص .

هناك طريقان يستطيع عليهما ان ينطلق ويمتد : الى الداخل، والى الخارج . انني اذا كنت في بلد اجنبي وانتابتني رغبة قوية في اكتشافه اكتشافا شاملا وعميقا ، وان ازور ابعد اماكنه ، فان هذا هو المثال النموذجي للامتداد نحو الخارج . ولن يكون من غير الصحيح ان نقول ان حب الكتب والموسيقى والفن هو نموذج الرغبة في الامتداد نحو الداخل . ولكنه ليس سوى نصف هذا النوع من الامتداد . لان ما يحدث اذا ما اصبحت فجاة مفتونا ببلد اجنبي هو ان اشعر بنفسي كما لو كنت عنكبوتا كامنا في مركز نسيجها ، انني اشعر بكل انواع « المغزى » التي تهتز على طول النسيج ،فاريد ان امد اطرافي فاجتذبها جميعا . ولكن نفس الشيء هو ما يحدث في حالات السكينة الداخلية العميقة . حينذاك اشعر بمساحات داخلية شاسعة ، وبانواع غريبة من المغزى في « داخلي » . فلا اعود كائنا انسانيا ضئيلا تافها من القرن العشرين ، واقعا في شرك عالم حياته وشخصيته . مرة اخرى اكون في مركز نسيج العنكبوت ،شاعرا باهتزازات المعنى . وفجاة اتبين في اعمق المعاني ان اولئك الهنود الامريكيين واهالي بيرو كانوا على حق . انني اصبح مثل شجرة ادركت فجاة ان جذورها تغور عميقا ، عميقا في باطن الارض .وفي هذه اللحظة الحاضرة من التطور ، تمضي جذوري الى عمق ابعد بكثير مما تمتد فروعي من فوقها ـ انها ابعد واعمق منها بالف ضعف .

وما يسمى بالقوى السحرية ، انما هو جزء من هذا العالم الكامن الخفي : قدرات الحاسة السادسة او البصيرة الثانية ، والرؤية المسبقة ، والتواصل عن بعد ، والتنبؤ . وليست هذه القدرات هامة بالضرورة لتطورنا . ان اكثر الحيوانات يمتلكونها ، وما كان لنا ان

نسمح لهـا بان تغرق فتختفي وراء ستار اهمال استخدامهـا لو انهـا كانت قدرات اساسية . ولكـن معرفـة الانسان بجـذوره ، بعالمـه الداخلي ،« هامة » بالنسبة له بالفعل في هذه النقطة من تطوره ، لانه وقع في شرك تخيله عـن نفسه باعتباره قزمـا مفكرا . لا بد لـه بشكل مـا ان يعـود الى معرفة انه، بحق وعن مقدرة ، « ساحـر » خارق القدرة ، واحد مـن تلك الشخصيات السحرية التي تستطيع انترسل صواعق البرق او تامر الارواح فتنقاد لهـا . وقد كان الفنانـون والشعراء العظام مدركين لهذا على الدوام . ان الرسالة التي تحملها سمفونيات بيتهوفن ، يمكـن ان تلخص في عبارتين : « ليس الانسان ضئيلا ، انمـا هـو كسول الى حد لعين » .

* * *

لا تستطيع الحضارة ان تتقدم الى ابعد ممـا وصلت اليه حتى يسلم الناس بقوى الغيب غير المنظـورة تسليمـا بديهيا على نفس مستوى تسليمهم بالطاقـة الذرية . ولست اعني بهذا انه ينبغي على العلمـاء ان ينفقوا اماسيهم امام لوحة تحضير الارواح ، او انه ينبغي على كل جامعـة ان تقيم « قسمـا للعلوم الروحية » على النمط الذي وضعه « معهد الراين » في مدينة ديوك . وانمـا اعني ان علينـا ان نتعلم كيف نمتد نحـو الداخل حتى تستطيع بشكل ما ان نعيد اقامـة الاحساس بالهواكا ، حتى نصل الى اعادة خلق الاحساس بـ « القـوى غير المنظورة » التي كانت معروفة وعادية بالنسبة للانسان البدائي . « لا بد » لهذه المهمـة من أن تنجز بشكل مـا . هناك جوانب مما يدعى بغير الطبيعي ينبغي علينـا ان نتعلم كيف نسلم بهـا دون نقاش ،وكيف نعيش معهـا بنفس البساطة التي عاش بهـا اسلافنا معها . يقـول بليك : « ان مدركات الانسان ليست مقيدة باعضاء الادراك ، فهـو يدرك اكثر ممـا تستطيع حواسه أن تكتشف (رغم ان ما يدركه يكون بالـغ الدقـة) » . انه « يعرف » ، اشياء لم يكـن قد تعلمهـا او علم عنهـا شيئا من خلال المدرسـة او التجربة اليومية ، وفـي بعض الاحيـان يكـون من المريح اكثر الا يعرف تلك الاشياء . ويحكي اوزبيرت سيتوبـل حكايـة غريبة عن قارئة كف :

« كان كل زملائي الضباط الذيـن يمائلونني سنا ، قد ذهبـوا قبل شهرين او ثلاثة في هذا العام لرؤيـة قارئة كف شهيرة، قيل عنها فيمـا اذكـر ان مستر ونستـون تشيرشل اعتاد ان يستشيرهـا في بعض الاحيان . وقد اعتاد اصدقائي على زيارتها بالطبـع آمليـن ان يقال لهم ان قصص حبهم سوف تنجح ،ومتى سوف يتزوجون ، والاتجاه الذي سوف تتطور فيه حياة كل منهم العمليـة المقبلة . ويحدث في كل مرة ، ان العرافـة ما تكـاد تبدأ في قراءة حظوظهم ومستقبلهم ، حتى تطوح بالكف الممدودة اليهـا في انزعاج مفاجيء وهي تصيح . « لا افهمها ! انه نفس الشيء مرة اخرى ! فبعد شهرين او ثلاثة ، ينقطع خط الحياة، ثم لا يمكننـي ان اقرأ شيئا ..» . وكانت هذه العبارات تبدو لكل شخص قيلت له مجرد عذر لارتجالته العرافـة لكي تبـرر فشلهـا : ولكـن حينمـا حكى لي هذه القصة اربعة او خمسة اشخاص، تساءلت عما كان يمكـن ان تنذر او تنبيء به ..» (*)
وكانت هذه القصة تنبيء باندلاع الحرب العالمية الاولى ، وكانت تنبيء بموت الرفاق الضباط الذيـن كانت خطوط الحياة في ايديهم تنقطع بعد ثلاثة شهور من استشارة قارئة الكف .

من المحتمل ان يكون عدد القراء الذيـن قد يصرفون الانظار عن هذه القصة باعتبارهـا من وحي الخيال او كذبة صريحـة عددا ضئيلا جدا . وقد يشعر عدد اكبر بانها تحتوي على قدر من الحقيقة ،ولكنها تعرضت لشيء مـن المبالغة . اما غالبيـة الناس فقد يقبلونهـا على انهـا حقيقيـة بقدر مـا ، وان كانت غريبة شاذة .. ولكنهـا ليست بالغـة الاهمية ، وهم على الاقل ، لا يعتزمون التفكير فيها . ونحـن ميالون الى الركون الى هذه الاستجابة متى مـا واجهنا « الغريب الشاذ » : بان ندفعه الى قسم مستقل ومغلق من العقل ، يحمل لافتـة تقول : « الاستثناءات » ، ثم نتركه للنسيان . وقد سمعت ابراهام لينكولن ، كانت تنتابه الاحلام والهواجس التي تنبئه بموته قبل اسبوع من اغتياله ، وهذا شيء « غريب » وعارض ، ولكنه ايضا تاريخ قديم، وربمـا كان قد تعرض للمبالغة . انني افتح « ملحقا » ملونا منملاحق صحف يوم الاحد ، فاقرأ انه قبل اسبوع من الانفجار الذي دمر طائرة شركـة الطيران البريطانيـة الاوروبية من طراز « كوميت » يوم الثاني عشر من اكتوبر عام ١٩٦٧ ، فان الراكب نيكوس بابابترو كانت تطارده الهواجس المشؤومة والاحلام التي تدور حول الموت والحداد ، حتى انه حاول قبل اقلاع الطائرة بساعـة ان يحول تذكرته الى طائـرة اخـرى (**) وليس هذا تاريخا بعيدا ، ولكـن ينبغي أن نذكـر ان بابابترو « كـان » يحمل القنبلة التي انفجرت مصادفة . لقد كـان مهربا للمواد المتفجرة ، وكان قد قام بست رحلات مشابهـة قبل تلـك الرحلة الاخيرة في السنة نفسها . فلمـاذا اذن لاحقته الهواجس في تلك الرحلـة بالذات ؟ اننـا نهز اكتافنا ، ونوافق على ان هذه مسالة غريبة وشاذة ، ثم نروح نفكـر في موضوع آخر .

اسمحوا لي ان اقول انني لا اقترح ـ بالتاكيد ـ انه ينبغـي علينا ان ننفق حياتنا في الاهتمام بالاحـلام والهواجس ، او لائذين بمارثي الحظوظ والراجمين بالغيب ، انهـا لغريزة صحيـة تلك التي تجعلنـا نتجاهل الهواجس المشؤومة والاحلام ، ونستمر في الاهتمام بمشاغل الحياة العمليـة . ولكـن الموقف المتصلب المتعنت ازاء مثل هـذه الاشياء هو « خطأ » باكثر معاني هذه الكلمة بساطـة ومنطقية . فمنـذ قرنيـن فقط من الزمـان ، اعلـن اكثر العلمـاء تمتعـا بالاحترام ، انه كان من السخف أن يؤكـد أحد ان عمر الارض يزيد علـى بضعـة آلاف قليلة من السنين او ان يؤكد ان وحوشا غريبة الهيئة قد هامت في غاباتهـا . وحينمـا كان بعض العامليـن في المحـاجر يكتشفون بعض المخلوقات البحرية المتحجرة ، او حتى جمجمة حيوان من فصيلة الديناصور ، فان الشيء المكتشف كـان يفسر بانه تكويـن حجـري شاذ ، وانه تقليد صخري قامت به الطبيعة لاشكـال تشبـه اشكـال الكائنات الحيـة على سبيل الدعابة او الاغراب . وطوال الاعـوام الخمسين التاليـة كرس العلمـاء المتصلبو الرؤوس كل وقتهم وقدرتهم على الابتكار من اجل ان ينكروا بتفسيراتهم الاصول الحقيقيـة للحفريات والعظام التي كانت تكتشف باعداد متزايدة .. وقد استطاع كوفيير ، وهو واحد من اعظم علمـاء الحيوان فـي القـرن التاسـع عشر ان يدمر حياة زميله لامارك العمليـة حينمـا وصم نظريـة لامارك فيالنشوء والارتقاء بانهـا نظريـة خياليـة وغير علمية ، اما معتقده هـو الاكثر علمية ، فكـان يقول بان كل مخلوقات ما قبل التاريخ (والتي كـان وجودهـا قد اصبح معترفا به) قـد بادت نهائيا ولحقها الدمار الشامل فـي سلسلة متعاقبة من الكوارث الطبيعيـة العالميـة التي مسحت وجه الارض ونظفت البسيطـة واعدتهـا لخـلق الانسان وحيوانـات العصر الحالـي .

ومثل هذا النوع من التفكير والمواقف ليس هو الاستثناء فيتاريخ العلم ، وانما القاعدة . ذلك ان واحدة من المعتقدات الجامدة الرئيسية للعلـم ، تقول بأن الرجل الذي ينكـر نظريـة مـا ، يحتمل ان يكون اكثر « علميـة » من هذا الذي يؤكدها .

(*) صباح عظيم (لندن ، ماكميلان ، ١٩٤٨) ص ٢٦٥ .

(**) ملحق جريدة « اوبزرفر » ١٠ مايـو ١٩٧٠ .

وعلى الرغم من كوفيبر فان افكار « النشوء والارتقاء » الخيالية قد احرزت الانتصار وسادت على غيرها من الافكار ، رغم ان الشكل الذي استطاعت ان تكون مقبولة به لدى العلماء في الغالب ، جعلها تبدو في صورة قوانين « البقاء للاصلح » الرتيبة الميكانيكية . ان البطء هو قانون التغير . وان آخر التطورات في علم الاحياء ، قد تنتهي بنا الى تغيير تصورنا عن الكون ، بقدر ما غيرت عظام الدينوصورات من تصورنا عن الارض . وتلك هي الفرضية التي يقوم عليها هذا الكتاب . فقد لا يكون بعيدا ذلك الوقت الذي سنستطيع فيه ان نقبل ظاهرة « خفية » باعتبارها ظاهرة طبيعية مثلما نقبل الان وجود الذرات .

ومن اجل ان ازيد هذا التاكيد وضوحا ، ينبغي على ان اتحدث باختصار عن علم السيبرناطيكا الجديد . فقد « اخترع » علم السيبرناطيكا الجديد في عام ١٩٤٨ ، على يد عالم الطبيعة نوربرت وينار في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا . انه علم « السيطرة » والاتصال ، في الآلات والحيوانات (وكلمة Kyhernetes اليونانية تعني رجل الدفة في السفينة ، او الربان ، او الحاكم) . ان الكرة الطافية في صهريج المرحاض تطبيق بسيط للسيطرة السيبرناطيكية ، فحينما يمتلىء الصهريج تقطع سدادة الكرة انسياب الماء . وبقدر ضئيل من الذكاء ، يمكنني ان اصطنع جهازا يحقق سيطرة مماثلة لاغلاق صنابير حوض الحمام حينما تصل فيه المياه الى منسوب معين ، لكي اوفر على نفسي مهمة القيام والجلوس في الحوض لاغلاق الصنابير . ولكن في العلم والصناعة ، فان العملية التي اريد السيطرة عليها قد تكون اكثر تعقيدا بدرجة مضاعفة من صنابير حوض الحمام . فقد يكون الهدف من السيطرة ـ مثلا ـ عملية كيميائية لا بد ان تتطور في اتجاهات متعددة . وفي هذه الحالة ، لا بد ان استخدم حاسبة الكترونية تنفذ « برنامجا » معينا وضع لهذا الغرض من اجل اعدادها للتعامل مع عدد كبير من المواقف ستطرا في مسار العملية . ان بطاقة حفر عليها عدد معين من الثقوب تكفي لاعطاء الحاسبة الالكترونية تعليماتها ولجعلها تتصرف مثل المراقب الذي يطمئن على سير العمل سيرا صحيحا .

ومنذ اواخر القرن التاسع عشر كان قد اصبح مفهوما ان الكائنات الحية تستمد خصائصها من خلايا دقيقة يطلق عليها قسم « الجينات » اي « حاملات الخصائص الوراثية » يحتويها كل من السائل المنوي الذكري والبويضة الانثوية . ان لون شعري وعيني ، وحجم قدمي ، كلها امور تقررها الجينات ، ولكن لم يكن هناك من تبين الى حد اليقين الكيفية التي تقوم بها الجينات بهذا العمل . وفي منتصف الخمسينات من القرن العشرين اصبح من الواضح ان الجينات تشبه بطاقات الحاسبة الالكترونية بثقوبها المحفورة فيها . اما « الثقوب » فانها بالفعل جزئيات من مادة ندعي « د.ن.م » تترابط الواحدة منها بالاخرى على شكل لولب مزدوج ، في هيئة شيء يشبه لولبين التصق الواحد منهما بالاخر في اتجاهين متعارضين .

وكلما زاد ما نعرف عن هذا النظام الذي يشبه نظام الحاسبة الالكترونية ، وهو النظام الذي يجعلنا على ما نحن عليه ، كلما زادت مراوغته لنا وزادت حيرتنا ازاءه . ان نظرية داروين في النشوء والتطور تفكر في عنق الزرافة وفي بدن الفيل وتفسرهما على اساس المصادفة ، تماما مثلما قد تفسر شكل صخرة اتخذت هيئة الوجه بان تشير الى فعل الرياح والمطر . ان العلم يكره « الغائية » ، اي انه يكره فكرة « استهداف » غرض معين . ان الصخرة لم « تشأ » ان تنحت حتى تتخذ هيئة الوجه ، كما انه لم يكن من مشيئة الريح والمطر ان ينحتاها على هذه الهيئة ، انما حدث هذا ، هكذا ، وحسب . وبصورة مشابهة ، يكره علماء الاحياء (البيولوجيون) تلك الهرطقة المعروفة باسم « النزعة الحيوية » ، وهي فكرة ان الحياة بشكل ما « تريد » ان تنتج مخلوقات اكثر صحة وذكاء . انما تم انتاج مثل هذه المخلوقات لان الصحة والذكاء يصمدان للبقاء بصورة افضل من المرض والغباوة . ولكن حينما يتبين المرء ان الكائنات البشرية قد تم انتاجها بواسطة بطاقة حاسبة الكترونية شديدة التعقيد ، يصبح من الصعب عليه ان يتجنب الانزلاق الى « الغائية » والتساؤل عمن قد يكون وضع البرنامج لهذه الحاسبة الالكترونية .

في عام ١٩٦٩ ، القى عالم من علماء السيبرناطيكا ، هو الدكتور دافيد فوستر ، محاضرة في المؤتمر الدولي لعلوم السيبرناطيكا بالكلية الملكية في لندن ، ورسم صورة لبعض الدلالات الفلسفية لتلك الكشوف . أشار الى انه من وجهة نظر عالم السيبرناطيكا، فان من الممكن ان ينظر الى الكون باعتباره مجموعة من « المعطيات » وعملية جمع واحصاء وترتيب متصاعد لهذه المعطيات . ان ثمرة البلوط، على سبيل المثال ، يمكن اعتبارها « برنامجا » لشجرة بلوط . وحتى الذرة يمكن ان نفكر فيها باعتبارها بطاقة حاسبة الكترونية حفر فيها ثلاثة ثقوب ، على اساس ان الثقوب الثلاثة هي (أ) عدد الجزيئات في النواة ، (ب) عدد الالكترونات التي تدور حولها ، (ج) طاقة تلك الالكترونات ، كما يعبر عنها على اساس اصغر الجزيئات المعروفة من الطاقة ، وهو الجزيء الثابت عند بلانك . يمضي الدكتور فوستر قائلا : « من المؤكد انه يجب ان يكون واضحا ان الطبيعة الاساسية للمادة هي ان الذرات هي « ابجدية » الكون، وان التركيبات الكيمائية هي « الكلمات » ، وان مادة « د.ن.م » هي ما يكاد يكون « جملة » طويلة ،او حتى كتابا كاملا يحاول ان يقول شيئا مثل « فيل » او « زرافة » او حتى « انسان » .

ويمضي لكي يبرز ان وحدة البناء الاساسية في اي نظرية اعلام كهربائية هي الموجة الكهربائية الواحدة ، والموجة الواحدة تتكون من نصفين ، لانها تقاس بدءا من قمة « نتوء » او انحناءة ، الى قاع النتوء او الانحناءة التالية :

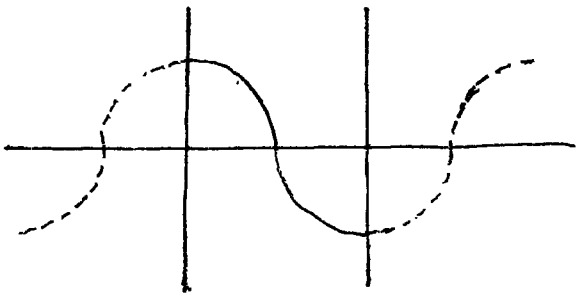

وهذا معناه ان الموجة نظام ثنائي او « مزدوج » ، والحاسبات الالكترونية تعمل على اساس الرياضيات الثنائية او المزدوجة . وهذه خطوة هامة في بناء حجته ، لاننا اذا فكرنا في الموجات باعتبارها المفردات الاساسية للكون ،اذن فسوف يمكنك ان تفكر في الحياة ـ وفي المادة كلها في الحقيقة ـ باعتبارها راجعة الى موجات تمت برمجتها بطريقة سيبرناطيكية ما .

ان ما يقوله يبدو بالتاكيد شبيها بالغائية . انني اذا رأيت عملية كيميائية معقدة ، توضع لها القواعد ويتم التحكم فيها بواسطة الحاسب الالكتروني ، فانني ساستنتج ان شخصا ما قد وضع البرنامج لهذا الحاسب . والدكتور فوستر يقول ان الابنية المعقدة للحياة حول عالم السيبرناطيقا ، تتكشف لعينيه في صورة عملية جمع واحصاء المعطيات وترتيبها بطريقة تصاعدية على نطاق هائل . وهذه مسالة حقيقة علمية . وهو يجد نفسه بالطبع يتساءل عن

الذكاء الذي يقوم بجمع المعطيات واحصائها وتصنيفها تصاعديا ؟

يخطو الدكتور فوستر بعد ذلك اكثر خطواته اثارة للنقاش والخلاف . فهو يفسر موقفه بانه « كخبير في التسيير الذاتي ،حينما اصمم نظاما للسيطرة من اجل عملية ما ، فانه من البديهي ان تكون سرعة نظام السيطرة اكبر بكثير من سرعة حركات العملية المطلوبة ». فانت ، على سبيل المثال ، تستطيع ان تقود سيارتك لانك تستطيع ان تفكر بأسرع من عمل الآلة ، ولو لم تستطع ذلك لاصطدمتسيارتك باي شيء فورا . ولكن في هذه الحالة ، لا بد ان توضع البرامج للمادة في صورة ذبذبات ـ او موجات ـ اكثر سرعة بكثير منذبذبات المادة نفسها . اي في شكل اشعاعات كونية . والكون مليء بالاشعاعات الكونية بالطبع . وفي رأي الدكتور فوستر فانه من المحتمل ان تكون تلك الاشعاعات هي القوة الكامنة وراء « برمجة » جزيئات مادة الـ « د . ن . ا » .

ولكن ، فلنلاحظ النقطة المحورية هنا . ان الموجة التي تحمل معلومة تختلف تماما عن الموجة التي لا تحمل معلومة مثلها . ان المعلومة « مفروضة » على بنائها عن طريق الذكاء . ان النتيجة التي يصل اليها الدكتور فوستر ـ رغم انها تقال بالحذر النموذجي للعالم تحيط بها هالة من المبررات والمقدمات ـ هي ان مستوى الذكاء المتضمن في بناء مثل تلك الموجة لا بد ان يكون ارقىبكثير جدا من ذكائنا الانساني .وهذا ايضا نوع من الاستقراء (او الاستدلال) العلمي وليس تخمينا ميتافيزيقيا . انه يذكر «تأثير كومبتون » في الطبيعيات ، الذي يزان عن طريقه طول الاشعة السينية عن طريق تركيز شديد للالكترونات ، والقاعدة المستخلصة من هذا القانون هي انك تستطيع ان تصنع ضوءا احمر من ضوء أزرق . « فالضوء الازرق الاسرع ذبذبة يضع برنامجا للضوء الاحمر ، وليس العكس » .

ان ما يقوله الدكتور فوستر لا يختلف اختلافا جوهريا عن حجة « الساعة » التي قال بها بالي BALEY ان « بالي » اللاهوتي قد قال انه حينما ينظر الى كيف تعمل ساعته ، فانه يتبين انها تدل على صانع ذكي ، وان الانسان ـ رغم كل شيء ـ اكثر تعقيدا من اي « ساعة » في الوجود. ومع ذلك فان الدكتور فوستر ـ اذا كنت قد فهمته ، فهما صائبا ـ لا يحاول ان يدخل الله من الباب الخلفي . انه اقل اهتماما بالنظريات التي تدور حول من يضع البرامج منه بالحقيقة التي توضح ان « ثمة » عملية برمجة تتخلل الطبيعة بأسرها ، انه مهتم بالسؤال الذي يبحث عن الكيفية التي تحمل بها المعلومات الى مادة الـ « د.ن. ا » ، وان « الاشعة الكونية » تتقدم باعتبارها فرضية معقولة للاجابة على هذا السؤال. وهو يقول : « يقيم المرء صورة جديدة للكون باعتباره كونا مرقما او كون معلومات ، ولكن بسبب المؤثرات السيبرناطيكية العاملة فيه ، فانني اظن انني افضل ان ادعوه : الكون الذكي » .

انه لما يثير الاهتمام ان الدكتور فوستر لا يصل الى هذا الكون الذكي من خلال البدء بفكرة الغاية او الله ، مثلما يفعل المفكرون الدينيون ، وانما يصل اليه ببساطة ، عن طريق الاهتمام بالحقائق التي تعرفها الآن عن طريق البرمجة السيبرناطيكية للمادة الحية . ومن خلال هذا الاهتمام تبرز صورة للكون تتلاءم مع نظريات العلماء وعلماء النفس الاخرين خلال السنوات العشرين الماضية : تيار دى شاردان ، وسيرجوليان هكسلي ، س . هـ . وادينجستون، ابراهام ماسلو ، فيكتور فرانكل ، ميشيل بولاني ، نودامتشومسكي. ان ما يشترك فيه كل هؤلاء الرجال هو مقاومة « النزعة التصغيرية » التي اعني بها محاولة تفسير الانسان والكون عن طريق قوانين الطبيعة او سلوك فئران المعامل . على سبيل المثال ، يكتب عالم النفس ابراهام ماسلو قائلا : « يتمتع الانسان ب « طبيعة اسمى » مما احتوته غرائزه باعتباره ضبيعته الادنى ، الحيوانية ..» . اما نظرية الدكتور فوستر عن « الكون المرقم » ، فقد تكون اكثر جسارة من النزعة التشوئية عند هكسلي ووادينجتون ، ولكن الروح متشابهة بصورة جوهرية ، ليس من تناقض بينهما .

كل هذا يعني انه لاول مرة في التاريخ الغربي يستطيع كتاب عن « الغيب ومعرفته » ان يكون شيئا اكثر من مجموعة من الخوارق والاقوال السخيفة المجردة من المعنى . ان الدين والنزعة الصوفية والسحر ، تنبع كلها من نفس « الاحساس » الاساسي ازاء الكون : احساس معاجيء ب « المعنى » الذي يستطيع الناس احيانا ان«يلتقطوه» مصادفة ، مثلما قد يلتقط مذياعك محطة مجهولة دون قصد .والشعراء يشعرون باننا مفصولون عن المعنى بحائط سميك من الرصاص ، واننا احيانا ، ودون سبب ، نستطيع ان ندرك ان الحائط يبدو وكانه قد اختفى واننا فجأة مغمورون بالمغزى اللانهائي للاشياء . ان ايفان كارامازوف ، في احدى روايات دوستويفسكي ، يحكي قصة عن ملحد لم يكن يؤمن بالحياة بعد الموت ، وبعد ان مات ، حكم الله عليه بأن يسير الف مليون من الاميال على قدميه عقابا له ، ويرقد الملحد على الطريق راغضا ان يسير مليونا من السنوات ، ومع ذلك ، فانه بعد ليل قام فجر نفسه وتحامل على قدميه وسار المليار من الاميال على مضض . وحينما سمح له اخيرا بان يدخل الفردوس ، اعلن على الفور ان خمس دقائق يقضيها في الفردوس كانتستحق ان يسير عشرة اضعاف ما ساره بالفعل . يضع دوستويفسكي يديه على هذا الاحساس الصوفي بمعنى يبلغ من الحدة درجة تجعله يفوق او يتجاوز اي شيء نستطيع ان ندركه ويستطيع ان يجعل « اي » مجهود نبذله يستحق العناء ويكتسب القيمة . انه الاحساس بالمعنى الذي يدفع الانسان الى ان يبذل اي مجهود . أما اذا أستطاع ـ مثل الخاطيء الذي حكى عنه ايفان ـ انيلمح« المعنى » لمحة مفاجئة ،فانه جدير بأن يصبح منيعا على القتل لا يمكن قهره ، ويمكن انيكون سير مليار من الاميال مجرد نكتة .

اذن فقد اتفق العلم الغربي دائما على ان هناك الكثير الذي عليه ان يكتشف في الكون ـ ولكنه بصورة جوهرية كون ميتوميكانيكي. ويمكن ان تقول ان العالم ليس سوى باحث مجيد عن الحوادث العارضة . والباحث عن الحوادث العارضة ، هو نفسه نتاج حادثة عارضة ، ولكن الانسان يحركه المعنى الى درجة اعمق بكثير مما تحركه الحوادث . لقد وجد عالم الكهوف القديمة ، الفرنسيلوريرت كاستيريت ان الكهوف السفلية في مونتسبان جديرة بان تكتشفمثيرة للاهتمام ، ولكن هذا الاهتمام لم يكن شيئا يذكر بالنسبة لما شعر به من الاثارة حينما وجد ان جدران الكهوف كانت تغطيها رسوم الاسود والجياد ، فتبين انه قد عثر بالصدفة على فن انسان الكهوف في عصور ما قبل التاريخ . ان اكتشاف نتاج الذكاء لاكثر اثارة على الدوام من اكتشاف نتاج الحادثة العارضة .

فلو ان دافيد فوستر على صواب ، او حتى لو ان رايه هو نصف الصواب ، فانها البداية لعصر جديد في المعرفة الانسانية ، ذلك ان العلم سوف يكف عن ان يكون بحثا عن حادثة عارضة لكي يصبح بحثا عن معنى . انه يكتب قائلا : « ان الكون بصورة كلية بناء متكامل من الموجات والذبذبات ، مضمونها الداخلي هو « المعنى » .. معترفا في الوقت نفسه بأن ادواتنا ما تزال غليظة الى درجة تمنعنا من ان نحل شفرة المعاني التي تحملها الذبذبات عالية التردد .ولكن ان نؤمن بأن المعنى موجود هناك ، وانه من الممكن حل شفرته ، فان هذا يمثل خطوة هائلة الى الامام ، تكاد تساوي اللمحة الخاطفة التي القاها الملحد على الفردوس .

وبسبب اهدافنا القريبة ، فان هذا الايمان ، يمدنا ايضا بصورة للكون تفسح مكانا لـ « الظواهر الخفية » مثلما تفسح مكانا

للطبيعيات الذرية . في الماضي كانت المشكلة دائما هي اين نرسم الخط الفاصل بين نوعين من هذه الظواهر . فاذا كان بوسعك ان تقبل الاتصال العقلي عن بعد Telepathy والاحاسيس أو الاحداث المتنبئة بالمستقبل ، فلماذا لا تقبل التنجيم وقراءة الحظ او المسوخين الى ذئاب متوحشة ومصاصي الدماء والاشباح والساحرات يطلقن التعزيمات اللعينة ؟ لانك اذا كنت تزمع ان تنقض المنطق العلمي ، فيمكنك اذن ان تأخذ سعداً بسعيد او ان تلقي جزاء اللص لسرقة عنزة ملثما تلقاه لسرقة حمل ، فانظر كم من الاشياء المستحيلة يمكنك ان تؤمن بها قبل ان تتناول طعام الافطار .

ومن الجانب الاخر ، فان نظرية اندكتور فوستر تتفق مع انواع الحدس لدى الشعراء والمتصوفة والمؤمنين بالظواهر الخفية : تتفق على أن ثمة « معاني » تطفو حولنا ، انقطعت الصلة بيننا وبينها بصورة طبيعية بسبب العادة ، والجهل وعتامة الحواس او بلادتها. ان ما يدعى بالموروثات الخفية ، قد لا تكون اكثر من خرافة متوحشين جهلة ، ولكنها يمكن ايضا ان تكون محاولة لتفسير واحدة من تلك النظرات الخاطفة كاللمحة ، تلقى بالصدفة على المعنى الذي يصل الى اعماق ابعد من التوافه اليومية ، في اللحظة التي يلتقط فيها جهاز المذياع الانساني ذبذبات غير معروفة . وعلى اي حال فان كلمة « الغيب » تعني « المجهول » ، الخفي . او ربما تم تكن تلك النظرات الخاطفة عارضة ولم تحدث بالصدفة، ربما كان « الكون » الذكي يحاول ان يتصل بنا ، ان يتواصل معنا .

ولكن سواء كنا نريد ان نمضي الى هذا المدى ام لا نريد ذلك ، فان هناك احساساً بالحرية في كوننا قادرين على ان نقبل ان الكون مليء بالمعنى الذي نستطيع ان ندركه لو اننا تحمسنا لذلك وبذلنا من أجله ما يتطلبه من جهد . ويعبر برتراند راسل عن الاحساس نفسه في كتابه « تطور فلسفي » حينما يروي كيف وصل الى رفض الفكرة الكانطية القائلة بانه ليست هناك « حقيقة » في العالم الخارجي ، خارج ذات الانسان : « باحساس بالهرب من سجن ضيق ، سمحنا لانفسنا بأن نظن ان الحشائش خضراء، وان الشمس والنجوم سوف تكون موجودة اذا لم يكن هناك من يشعر بها او يحس بوجودها ، وسمحنا لانفسنا ايضا بأن نظن ان ثمة عالما لانهائي الزمن ، متعددا ، من المثل الافلاطونية .. »

لا بد للانسان ان يؤمن بالحقائق الواقعة خارج ضالته هو الخاصة ، خارج « تفاهته اليومية » اذا كان له ان ينجز اي شيء له قيمة أو يستحق الانجاز .

ويصل بي هذا الى واحدة من القضايا المحورية لهذا الكتاب . فمنذ عام ١٨٨٧ أشار ماكس موللر ، محرر كتاب : « كتب الشرق المقدسة » أشار الى انه (*) بسبب كل الدلائل الممكنة ، فان اسلافنا منذ الفين من الاعوام ، كادوا ان يكونوا مصابين بعمى الالوان ، مثل معظم الحيوانات الآن . « لم يعرف اكسونوفون سوى ثلاثة من الوان قوس قزح ، ولم يعرف ديموقريطوس سوى اربعة الوان منها ـ الاسود والابيض والاحمر والاصفر » . ومن الواضح ان هومير قد ظن ان للبحر لون النبيذ . وليست هناك كلمات تدل على الالوان في حديث الشعوب الهندو اوروبية . ويمكننا اذن ان ندرك السبب الذي دفع الاسكندر المقدوني ، تلميذ ارسطو ، الى ان ينفق حياته في غزو العالم . فلا بد انه كان عالما واحد اللون كئيبا ، لا تمييز فيه بين حمرة النبيذ وزرقة البحر الخضراء ، وخضرة الحشائش الزمردية ، وزرقة السماء العميقة . بل ان السبب في مثل هذا العمل مفهوم من الناحية البيولوجية . كانت الحياه قاسية وحشية عنيفة ، ولم تكن للقدرة على ادراك الفروق الحاسمة بين الافكار والالوان من قيمة تفيد في البقاء على قيد الحياة . وقد كان الاسكندر خلاقا مليئا بالحيوية ، فأي شيء اذن كان امامه ان يفعله سوى ان يغزو العالم، ثم يبكي حينما لا يبقى امامه ما يمكن غزوه ؟

ولكن القدرة على الاستمتاع بـ « الذبذبات الحاسمة » تمثل جانبا هاما من متنفساتنا الحيويه . ان رجلا لا يستطيع ان يفرا ، سوف يقضي وقتا بالغ الكآبة حينما يضطر الى ان يقبع في المستشفى بعد جراحة خطيرة ، بينما قد يجد الرجل الذي يحب القراءة ان الكسل لذيذ وممتع . ان الضجر هو الافتقار الى القدرةعلى تسجيل الذبذبات الحاسمة . وتعريف الكيان العضوي الحي هو انه كيان عضوي قادر على الاستجابة لذبذبات الطاقة . وهذه الذبذبات تكون « المعاني » . فسواء كنت مسترخيا امام نار المدفأة ، او استمتع بكأس من النبيذ ، او انفعل بسماع سيمفونية ، او اشم رائحة الحشائش المقطوعة وانا أجزها في الحديقة ، فانني اتلقى في كل حالة « معاني » وأسجل ذبذبات . ليس الفارق الهام بين الرجل وكلبه فحسب هو ان الكلب مصاب بعمى الالوان ، وانما الفارق الهام بينهما هو ان للرجل مجالا اوسع بكثير للاستجابة فيما يكاد يكون كل ميدان .

كلما ازداد رقي شكل الحياة ، ازداد عمق قدرتها على تسجيل المعنى ، وازدادت قوة قبضتها على الحياة . كان المعنى بالنسبة للاسكندر مرتبطا بالغزو ، وحينما بلغ الحد الاقصى للغزو ، كان ايضا قد بلغ الحد الاقصى لطاقته . كان قد غزا العالم وهو في الواحدة والثلاثين . ومات في الثالثة والثلاثين .

والارتقاء ببساطة هو القدرة على تلقي وتسجيل المعاني الموجودة بالفعل . ان الازرق والاخضر قد وجدا ، حتى وان لم يكن اكسنوفون قد استطاع ان يميز بينهما . ونحن نرتقي على الدوام في قلب عالم يصبح على الدوام اكثر فتنة وسحراً كلما تعلمنا ان نتلقى وان نسجل ذبذبات جديدة . ولا شك ان البشرية ، بعد الف سنة اخرى، سوف ترى كونا تتيه فيه الابصار ، يتلألأ باثني عشر لونا لا وجود لها بالنسبة لنا .

اذن ، فلا بد ان يكون واضحا ان زيادة في « حدة الذهن » انما هي ارتقاء « نحو الداخل » . ان عامل اصلاح الساعات في فترة التمرين ، يبدأ باصلاح الساعات الدقاقة الكبيرة ، ثم يتدرج ببطء حتى يصل الى ادق الساعات واصغرها . انه يطور نوعا متزايدا من السكينة والتركيز ، وهذه ميزات « داخلية » .

لقد بلغ الانسان نقطة في ارتقائه اصبح عليه فيها ان يرتقي من الساعات الدقاقة الكبيرة الى الساعات الصغيرة ، من الكبير الى الدقيق . لا بد له ان يلتفت الى الداخل بصورة متزايدة . وهذا يعني ان عليه ان يلتفت الى المستويات الخفية من وجوده ، الى « الخفي » ،الى المعاني والذبذبات التي كانت حتى الآن اكثر دقة من ان يقبض عليها بيديه او ان يدركها بعقله .

* * *

لقد قسمت هذا الكتاب الى ثلاثة اجزاء . ورغم انني كنت انوي اصلا ان اعطيه شكل التاريخ ، فانني شعرت انه يحتاج الى قسم تمهيدي طويل ـ قسم استطيع فيه ان أقرر انشغالاتي السابقة وما اقتنع به . لقد قلت ان ثمة علاقة بين القدرة على الخلق وبين الحساسية النفسية Psychic . فالشخص الخلاق يهتم بمعالجة قدرات العقل غير الواعي ،وهو في قيامه بهذا ، قد يصبح مدركا لوجود قوى لا تكون ـ عادة ـ في متناول الوعي . وهذا هو

(*) علم التفكير (نيويورك ، سكريبنرز) المجلد الاول ص٢٩٩. واقتبسها ايضا د. م بيوك في « الوعي الكوني » . (نيويورك ـ ١٩٠١) ص ٢٨ .

السبب الذي دفعني الى تضمين هذا القسم مناقشات حول « الكتاب الصيني للتغيرات CHING I » وحول اوراق اللعب من نوع « التاروت » .

اما القسم الثاني فهو التاريخ الذي كنت قد بدات اكتبه ، كان يمكنني ان اختار اما تاريخا للسحر بوجه عام ، او تاريخا للافراد من اصحاب القدرات الخارقة والقادرين ، مع الخلفية التاريخية اللازمة لربط الواحد منهم بالاخر . وقد اخترت الطريق الاخير .

اما القسم الثالث من الكتاب فقد اهتم بالموضوعات التي لم يكن لدي ما يكفي من الوقت الا للمسها من بعيد في القسم الثاني: السحر ، والمسخ الى صورة الذئب ونزعة مص الدماء ، وتاريخ النزعة الروحانية ومشكلة الاشباح والارواح الشريرة . اماالفصل الاخير من الكتاب « لمحات » فيعود الى موضوعات هذا التمهيد : المسائل الميتافيزيقية التي تثور من خلال النزعة الغيبية ، مشكلة الزمن ، وطبيعة « قدرات الانسان الخفية المستترة » .

هذا كتاب كبير ، وهو تاريخ شامل بقدر ما يمكنني ان اجعله شاملا . ولكن سرعان ما اصبح واضحا لي انه كان من الاساسي ان يصبح اعرابا شخصيا عن اقتناع بشيء معين اكثر من ان يكون دائرة معارف . هناك دوائر معارف جيدة ، تبرز من بينها بوجه خاص « دائرة معارف العلوم الغيبية » التي الفها لويس سبنس. وهناك ايضا « دائرة معارف علوم الخارق غير الطبيعية » ،وهناك الكتاب الطموح الواسع المجال : « الانسان والخرافة والسحر » ، الذي لم يكن ـ في لحظة ذهاب هذا الكتاب الى المطبعة ـ قد بلغ سوى المجلد الثاني من سبعة مجلدات . ولكن الامر الذي يمكن ان يؤخذ على تلك الكتب هو انها تميل الى ان تكون تكويما للمعلومات التي لا شيء يربط بينها . وقد وقعت كتب المرحوم تشارلز فورت في الخطا نفسه ، لقد انفق حياته في جمع التقارير الصحفية عن احداث غريبة ولا يمكن تفسيرها من اجل ان يزعج العلماء ويبث في عقولهم القلق ، وثم فشل في ان يصرف انظار احد عما بين يديه لكي يشغله بما جمعه باستثناء المعجبين به ، لانه لم يفعل اكثر من انه القى في وجوه الناس بجبل هائل من المعلومات والحقائق مثل كومة من خشب الوقود آملا ان تقوم هذه الحقائق وحدها باقناع الناس . ولكن الحقائق لا تفعل هذا . وربما كنت ـ في هذا الكتاب ـ قد اسرفت في النقاش ، ولكن هذا السبيل لاح لي اسلم السبيلين .

في فصل من الفصول الاولى ، اتحدث عن المصادفات ، ومن المؤكد انه كان هناك ما يكفي من المصادفات في تاليف هذا الكتاب. فذات مرة ، بينما كنت ابحث عن معلومة محددة ، سقط كتاب من فوق احد الرفوف وانفتح على الصفحة المطلوبة . وكانت شذرات من بعض المعلومات المطلوبة تصلني او تظهر لي في طواعية كانت تستفز اعصابي احيانا . واعتدت على هذا بعد فترة من الزمن ، بل بدات اشعر بنوع من الاستياء الخفيف حينما تروغ مني معلومة لمدة عشر دقائق او نحوها . الامر الذي يبدو انه يوضح ما ارمي اليه من انه اذا ما تدخلت الظواهر والدوافع والقوى غير الطبيعية بشكل اكثر من اللازم في الوجود الانساني ، فان ذلك قد ينتهي باعتيادنا الكسل.

وفي اثناء البحث وتاليف هذا الكتاب ، تغير موقفي انا الخاص من الموضوع . ورغم انني كنت اشعر دائما بشيء من الفضول ازاء « الغيب الخفي » وسبل معرفته ـ حتى اصبح لدي اكثر من خمسمائة مجلد تبحث كلها في السحر وفي الظواهر والقوى والدوافع غير الطبيعية ـ فان « الغيب ومعرفته » لم يكونا ابدا من بين اهتماماتي الرئيسية ، مثل الفلسفة او العلم او حتى الموسيقى . وبينما لم اكن شكاكا بصورة كاملة ابدا ، فقد شعرت بان اكثر الناس مهتمون بالدوافع والقوى غير الطبيعية لاسباب بعيدة عن الصواب .

لقد كانت جدتي مؤمنة بالروحانيات ، ولم يترك لدي الاشخاص القليلون من الروحانيين الذين قابلتهم من خلالها اي انطباع يجعلني اعتبرهم اذكياء او متيقظين بصورة غير عادية . وقد حدث منذ ما يقرب من عشر سنوات ان تحدث الي « ج . ويلسون نايت » ـ وهو متخصص في شكسبير ـ حول النزعة الروحانية، واعارني بعض الكتب في هذا الموضوع ، ومرة اخرى لم استطع ان ادفع نفسي الى الاهتمام العميق به . ولم يكن الامر امر رفض لما قاله عنه ، فقد كنت اكن ما يكفي من الاحترام له ولثقافته في ميادين اخرى لدرجة تجعلني اقبل فكرة انه لم يكن يعرب عن امانيه واحلامه اكثر مما يفكر تفكيرا جديا . ولكنني كنت اشعر بان الاهتمام بعوالم الفلسفة او علم النفس ، يجعل من « توافه » الامور ،هذا الاهتمام بالحياة بعد الموت ، مثلما هو الامر في الاهتمام بالشطرنج او بالرقص . كانت تفوح من هذا الموضوع رائحة الشيء « الانساني » ، ولا شيء غير الانساني » . وقد عبر البير كامي عن هذا الاحساس نفسه حينما قال : « لا اريد ان اؤمن بان الموت يفتح بابا على حياة اخرى ، الموت بالنسبة لي ، باب مغلق.. تحاول كل الحلول التي قدمت الي ان تاخذ من الانسان ثقل حياته . انني اذ ارقب تحليق الطيور العظيمة وانطلاقها الى السماء في بلدة « جميلة » ، فانني لا اطلب لحياتي الا مثل هذا الوزن المحدد اليقيني دون غيره » ، وقد امتلك هيمنجواي هذا الاحساس نفسه حينما كان في افضل حالاته . انه احساس بان حياتنا تستطيع ان تقدم : « حقيقة وكثافة » تجعل اكثر العواطف الدينية عادية تبدو تافهة مضللة في حد ذاتها . فالروحاني يقول : « من المؤكد ان هذه الحياة ستكون بلا معنى لو انها وصلت الى نهايتها الختامية بالموت . » اما اجابة كامي فتقول بانه اذا تقبل الحياة بعد الموت باعتبارها « اجابة » او « حلا » لمشكلة هذا الخلو من المعنى ، فانه يفقد حتى احتمال وقوع اللحظات التي تصبح فيها الحياة « حقيقية » بشكل غريب .

ولم يحدث الا منذ عامين فحسب ، حينما شرعت في البحث المنتظم من اجل هذا الكتاب ، ان تبينت التماسك والصلابة الملحوظة للادلة على امور من نوع الحياة بعد الموت ، والتجارب الخارجة عن حدود الجسد (مثل الرؤية الوهمية) والتناسخ او اعادة التجسد . لقد ظل موقفي دون تغيير بمعنى اساسي . فانني ما زلت اعتقد ان الفلسفة ـ اي البحث عن الحقيقة عن طريق الحدس المؤيد بالذهن ـ هي الوسيلة الاكثر جدارة بالاهتمام والاكثر اهمية من مسائل« الغيب ومعرفته » والاسئلة التي يطرحها . ولكنني اذ شرعت في وزن الادلة واختبارها ، بهذا الاتجاه العقلي غير المتعاطف فانها قد اقنعتني بان المزاعم الاساسية للنزعة الغيبية هي مزاعم صحيحة . ويبدو لي ان حقيقة الحياة بعد الموت قد اصبحت قائمة بعيدة عن متناول اي شك معقول . انني اتعاطف مع الفلاسفة والعلماء الذين يعتبرون هذه الحقيقة مجرد هراء عاطفي ، لانني ـ بشكل مزاجي ـ اقف في صفهم ، ولكنني اظنهم يغلقون عيونهم امام ادلة جديرة بان تقنعهم لو انها كانت تتعلق بعادات التزاوج بين فئران التجارب البيضاء او سلوك جزيئات اشعة الفا .

من خلال القرون القليلة الماضية ، جعلنا العلم ندرك ان الكون اكثر غرابة واكثر اثارة للاهتمام مما ظنه اسلافنا ، وانها لفكرة ممتعة ان نقول ان هذا الكون قد يتضح انه اكثر غرابة واكثر اثارة للاهتمام مما يعلن العلماء عن استعدادهم للاعتراف به .

★★★